عبد الرحمن

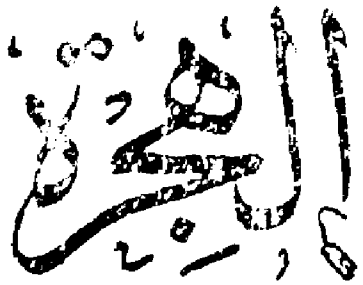

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ۞

إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ۞

المهاجر إلى ربه ليرضى

الصابر على مصابه فى القضا

تمهيد

١ — زمن الرواية : السنة الأولى للهجرة

٢ — مكان الراوية : مكة والمدينة وما بينهما

٣ — أشخاص الرواية :

عتبة بن ربيعة	
أبو جهل بن هشام	المشركون المتآمرون فى دار الندوة
أمية بن خلف	
النضر بن الحارث	
أبو سفيان	
الشيخ النجدى	إبليس
أعرابى	من رجال أبى جهل
عبد الله	ابن أبى بكر الصديق
عامر	مولى أبى بكر
مارد	(رئيس الجن)
آصف	
صخر	الجن
زوبعة	
يعفور	
سراقة	دليل قريش
أبو معبد	صاحب خيمة بالصحراء
حبيش	شقيق زوجة أبى معبد
زياد	من مسلمى المدينة
سعيد	
اليهودى	مبشر بقدوم الرسول
أعرابى	مبشر بقدوم الرسول كذلك

رجال . حداة . قوافل . منشدون

الفصل الأول

المنظر : « دار الندوة » وهى دار قصى بن كلاب ، وقد اجتمع بفنائها وجوه المشركين .
عند رفع الستار — عتبة بن ربيعة يتحدث إلى أبى جهل بن هشام .

عتبة بن أبى ربيعة — لم يحضر أبو سفيان يا أبا الحكم

أبو جهل بن هشام — لا أعرف له عذراً يا عتبة ، إلا أن يكون قد أطاف ببعض خدور خليلاته اللواتى انبثثن فى شعاب مكة ، يأخذن بقلوب فتيانها ، ويلعبن بعقول أبنائها ، ويشعن فى جوها جواً من الفتنة ، ويرسلن مع شمسها الحارة زفرات أشد لهيباً وأواراً ، وينفثن مع جوها الســـارى سحراً من السحر ، وعطراً يفوح بالأريج .

عتبة — الحق إن أمثال زمعة بن الأسود والعاص ابن وائل ، وعبد الله بن جدعان ، قد أحدثوا لشباب مكة حدثاً بما زاولوا من تجارة الجوارى ، وبما أقاموا لهن من دور

يأوى إليهـــا الشباب والكهول ، وقد
اشتملت على ما يثير النشوة ، وجهزت
بما يرغب القصاد والمجان .

أبو جهل — وبدل أن كان الرجل إذا غدا إليهن يدرع
الظلام ، ويرخى إزاره على أثر خطاه فوق
الرمال حتى لا يتعرف الناس أثره ، أصبح
يمشى إلى خليلته فى رائعة النهار ، لا يخشى
لوماً ولا عتابا ، ما دامت قد رفعت على
خبائها الراية البيضاء

عتبة — وبعد أن كانت الفتاة المهينة تلقب بالمظلمة ،
أصبحت تدعى الخليلة والحبيبة ، كما يسمى
أبو سفيان « فتنة » جارية ابن جدعان

أمية بن خلف — لا تذكرا فتنة بسوء ياعتبة ، إنها فتنة حقاً ،
إن لى معها مواقف يعرفها أبو الحكم ،
خصوصاً بعد أن كنا نعرج قبل زيارتها
على حان اسحق الخمار

أبو جهل — أجل أذكر ذلك يا أمية ، ولا أملك تعبيراً

هذا الأثر الذى تتركه تلك الفتاة فى النفوس
إلى أحسن أثرها . ولا أستطيع وصفها

النضر بن الحارث — أنا أصفها لكم يا أبا الحكم .

أمية — قل يا نضر . فإنك أفصحنا لساناً وأرجحنا
بياناً . وإن لك لنظرات فى الجمـــال ،
ووقفات أمام خدور ربات الحجال .

النضر — ومن خدورهن أستوحى بيانى ، ومن
نظراتهن أستلهم شعورى ، وما أجج النار
فى قلبى ، ولا ألهب الوجد فى صدرى
كنظرات فتنة . . إن لها جواً ساحراً
عذباً ، وقواماً يختال فتنة ويميل طرباً ،
وطرفاً فاتراً يتكسر حياء ويبعث فى النفس
لهباً ، إنها الشمس الساطعة تنير الأرض ،
والدرة المتألقة أمام العين ، والأنشودة
العذبة تداعب السمع . والأغرودة الحلوة
يترنم بها اللسان . ما خطر ريم على الرمال
إلا ذكرت عينيها ، ولا بدا جمال غزل

إلا رنوت إليها ، ولا هفا أريج عطر إلا ونم شذاه عليها .

أمية — أفصحنا لساناً ورب هذه البنية ، وأصدقنا إحساساً وتصويرا .

عتبة — كأنما نقل إلينا خباء فتنه ، أو نقلنا إلى خيامها .

أمية — كأنى والله أتنسم أريجها ، وأشم عطرها

أبوجهل — دعونا من العطر والأريج يا أمية ، لقد اجتمعنا هنا لغير ذلك ، إن « دار الندوة » لم توجد ليتغزل فيها بالعطر والأريج ، ولكنها جعلت ليقضى فيها كل أمر خطير ، لقد اجتمعنا هنا لنطفىء « فتنة » أشعلها محمد فى مكة ضراما ، لا لنهيم بوصف « فتنة » التى أقام لها ابن جدعان بين منازلنا خياما .

أمية — إن حقاً ما تقول يا أبا الحكم ، لسنا بأقل منك اهتماماً لما اجتمعنا له ، إن دعوة محمد

قد حرمت علينا كل متعة ، وسفهت لنا كل حلم ، ووقفت لنا بكل سبيل .

عتبة — وإن لم نأخذ عليه سبيله من الآن سد علينا كل السبل ، وأقفل فى وجهنا كل باب ، وتغلب علينا بدعوته التى تلقى كل يوم أنصاراً ، وتزيد فى كل ساعة ذيوعاً وانتشارا .

أبوجهل — لهذا اتعدنا دار الندوة ، وعقدنا هذا الاجتماع الذى سارعتم إليه ، وتخلف عنه أبو سفيان .

أبو سفيان — (وقد سمع آخر الحديث) لم أتخلف عنكم يا أبا الحكم ، إنما كنت بصدد ما تجتمعون له ، أدبر له الأمر ، وأرتب له الخطة ، وأتسمع له الأخبار والأحاديث .

أبوجهل من دار فتنة كنت تتسمع الأخبار ، أم على نشوة التساقى رسمت الخطة عند اسحق الخمار ؟

أبو سفيان — لا تهكم يا أبا الحكم ، فقد شيب كاس النشوة بمرارة لاذعة ، ودخل على خباء فتنة سحر أسرها وسباها

أبو جهل — ماذا تقول يا أبا سفيان ؟

أبو سفيان — دخلت على فتنة خباءها ، وأخذت مجلسى منها ، وهممت أن أمد يدى إليها ، فما راعنى إلا وقد رفعت يدها وأهوت بها على وجهى ، فلطمتنى لطمة أذهلت لبى وأطارت حجاى ، ثم نفرت فى حركة عصبية ، وتوسطت الخباء واقفة ، وصوبت إلى نظرة ليست فاترة متكسرة ، ولكن نافذة مسيطرة ، وقالت إليك عنى يا وغد ، قلت ما بك يا فتنة ، هل جننت ، قالت لا ، بل آمنت

الجميع — فى (ذهول وتعجب) آمنت فتنة

أبو سفيان — أجل . . آمنت بمحمد ، وبعد أن كانت تتمايل نشوة ووجدا ، أصبحت تتحرق

غيرة وجدا ، لقد تغير فيها كل شيء ، فنظرتها الماجنة أمست جادة ، ومشيتها الخليعة رست ثابتة ، وضحكتها الفاجرة استحالت على وجهها وقارا وعزما ، لقد ألبسها محمد الثوب الذى يلبسه أتباعه ، وكساها الحلة التى يكسوها المؤمنين به ، وسقاها الكاس التى يطوف بها على أصحابه فيقتلعون بها رواسى الجبال ، ويزلزلون بها سمع الدنيا .

أبو جهل — أ آمنت أنت أيضاً ؟

أبو سفيان — لا . . ولكنى رأيت من أمر محمد عجبا . . فتنة التى كنا نغريها به ، ونؤلبها عليه ، ونقذف بها فى طريقه وطريق أصحابه ، تسخر منهم بفجورها ، وتهزأ بهم بفتنتها . فتنة وهى فتنة ، يجذبها محمد إلى عقيدته ، ويضمها إلى شيعته ، ويغـــير طفرة واحدة نظام حياتها وأسلوب عيشها ،

فتصبح الفاجرة قديسة ، وتغدو الماجنة عابدة . . . بالقدرة محمد ونفوذ سحره ، لقد أحال الماخورة إلى محراب ، وأنطقها بلغته فتمتمت بعبارات كأنما تتلوها من كتاب

النضر — إنما هى أساطير الأولين

أبو سفيان — لقد كانت الفتاة تتلو فى خشية ووقار

أبو جهل — وهل وعيت قراءتها

أبو سفيان — أجل . . . كانت تقرأ (ن ، والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجراً غير ممنون ، وإنك لعلى خلق عظيم ، فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون ، ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد

ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ،

أبو جهل — لو أقمنا الدنيا فى وجه محمد ومعه هذا الكتاب فلن نستطيع إليه سبيلا

أمية — إنها كلمات من لغتنا ، وعبارات نفهمها ، ولكن لا نستطيع لها محاكاة ولا تقليدا

أبو جهل — بل لا نستطيع أن نفهم السر الذى استغلق علينا إدراكه ، واللغز الذى استعصى علينا حله . إنها كلمات حية متحركة ، تثب فى مواقف الهجوم ، وتحرق فى عبارات الوعيد ، وتلذ وتسكر إذا تحدثت عن الجنة والنعيم

أبو سفيان — وذلك ما دفعنا إلى أن نقضى الليل كله فى الاصغاء إلى محمد حينما كان يتلو قرآنه فى جوف الليل ، وهو قائم يصلى فى بيته . وكنا نستمع فرادى لا يعلم أحد منا مكان صاحبه ، وقد أخذ قوله علينا المسامع

والعقول . حتى إذا أصبحنا وطلع الفجر جمعنا الطريق فتلاومنا . وقال بعضنا لبعض ، لا تعودوا فلورآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا

أبو جهل — وفى الليلة الثانية عدنا كذلك . وجرى لنا ما جرى فى سابقتها ، ثم فى الثالثة ظننا ألا نتلاقى فجمعنا الطريق أيضا ، فقلنا لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدنا على ذلك ثم تفرقنا

أبو سفيان — وأصبح الأخنس بن شريق من نهاره فأخذ عصاه وأتانى فى بيتى فقال ، أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، قلت يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، فقال الأخنس ، وأنا والذى حلفت به ، ولم يزد على ذلك ثم انصرف

أبو جهل — ثم جاءنى فى بيتى فألقى نفس السؤال . قال يا أبا الحكم ما رأيك ، فيما سمعت من

محمد ، قلت ماذا سمعت . . . . تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف .. أطعموا وأطعمنا، وحملوا فحملنا. وأعطوا فأعطينا. حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا منا نبي يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك هذه . والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه .

أصوات — (وقد رفعوا أيديهم فى لهجة حازمة) أجل يا أبا الحكم ، والله لانصدق الأمين .

أبو جهل — أجل لانصدقه (ثم يميل على أبى سفيان) والله إنى لأعلم أن ما يقول حق .

أبوسفيان — فما يمنعك إذن .

أبو جهل — يا أبا حنظلة . إن بنى قصى قالوا فينا الحجابة فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا السقاية فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا الندوة فقلنا نعم ثم قالوا فينا اللواء فقلنا نعم ، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي . والله لا أفعل .

أبوسفيان — فما العمل إذن ، وكلما حاولنا أن نتغلب عليه تغلب علينا بما يتلوه من آيات هذا القرآن .

أمية — الرأى عندى أن نحاربه بنفس سلاحه

أبو جهل — لقد جربنا فأخفقنا .

أمية — نعيد الكرّة

أبو جهل — كيف يا أبا صفوان .

أمية — إن النضر بن الحارث رجل ذكى الفؤاد . وقد طاف بلاد الفرس ، وأقام بالحيرة زمناً .

النضر — فماذا تريد منى يا أمية ؟

أمية — أما عندك علم بسيرة الأولين ؟

النضر — عندى قصص رستم واسفنديار

أمية — أتستطيع أن تحاكى قرآن محمد ؟

النضر — أجل .. وبماذا كان محمد أحسن منى حديثاً

أمية — إذن فقل مثل كلامه ، وبهذا نغلبه

النضر — اسمعوا ، (ينصتون) « ياضفدع يابنت ضفدعين ، نقى ماتنقين ، نصفك فى الماء

ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ، (يضحكون) .

أبو جهل — ما هذا يانضر ، أيصلح مثل هذا الهذر لمقارعة قرآن محمد ؟

أبو سفيان — ليس فى هذا القول نور ذاك ، ولا سحره ولا إشراقه

عتبة — دعوا هذا السلاح ياقوم . . لا يؤتى محمد من ناحية قرآنه

أبو جهل — ماذا تعنى ياعتبة

عتبة — إنك تعرف ما أريد يا أبا الحكم ، لقد ذهبت إلى محمد أعرض عليه المال والجاه والسيادة وملك الدنيا ، فلم يزد على أن قال «أفرغت يا أبا الوليد» قلت نعم قال «اسمع منى» ثم قرأ (حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون ، وقالوا قلوبنا

فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون، قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ، قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين) ثم مضى يتلو وقد أخذتنى رهبة لم أشعر بمثلها قط إلى أن قال (وإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) وعندها أحسست كأن صاعقة تهوى على رأسى فأمسكت على فمه ، وناشدته الرحم أن يكف .

أبو جهل — ولماذا ؟

عتبة — لأنكم تعلمون أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب

أبو جهل — ولهذا جئتنا بوجه متغير كأنما قد سحرك بحديثه .

عتبة — إن كان قد تغير وجهى فلم يتغير رأيي

أبو جهل — وما رأيك يا أبا الوليد .

عتبة — والله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط ، ماهو بشعر ولا بسحر ولا كهانة ، فإن أطعتمونى فخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه ، واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وأنتم أسعد الناس به .

أمية — سحرك والله محمد يا أبا الوليد بلسانه

عتبة — هذا رأيي لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم .

أبو جهل — أجل . إننا إن لم نصنع شيئاً عاجلا فسد تدبيرنا ، فلا نستطيع له إصلاحاً . هاهو محمد قد أثر في مكة كلها ، بل تعداها إلى

الوفود القادمة من المدينة ، فاستجاب له قوم من بنى عبد الأشهل ، وآمن بدعوته سادات الأوس والخزرج .

أمية — أولئك الذين بايعوه عند العقبة ، ثم عادوا إلى يثرب يرددون دعوته فسرت بين أهلها ، وذاعت فى دورها ، وانتشرت كانتشار النار فى الهشيم .

أبو جهل — وحميت العقيدة فى قلوبهم ، فثاروا على الآلهة ، وحطموا الأصنام .

أصوات — حطموا الأصنام ؟

أبو جهل — أجل .

عتبة — قلت لكم دعوا هذا الرجل وشأنه .

أبو جهل — العجيب أن صاحب الصنم هو الذى حطمه بيديه .

أمية — كيف ذلك يا أبا الحكم .

أبو جهل — تعرفون عمرو بن الجموح

عتبة — أجل

أمية — سيد بنى سلمة وشريفها .

أبو جهل — اتخذوا فى داره — على عادة الأشراف — صنما من خشب يدعى مناة ، وقد عكف عليه يعظمه ويظهره

أمية — تبارك مناة

عتبة — وتعالى فى علاه

أبو جهل — فلما آمن فتيان بنى سلمة بمحمد ، كانوا يدلجون على صنم عمرو فيحملونه ويطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس ، منكساً على رأسه

أمية — ويل لهم . ثم ماذا .

أبو جهل — فإذا أصبح عمرو قال ويلكم ، من عدا على آلهتنا هذه الليلة ، ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه

أمية — لا بد أن مناة قد أخزاه

أبو جهل — لا يا أبا صفوان

النضر — فما ذاك إذن

أبو جهل — عاود الفتيان فعلتهم بالصنم

عتبة — فماذا فعل عمرو

أبو جهل — أعاد إلهه إلى مكانه بعد أن غسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال له، والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك

النضر — لا عذر للاله يعد ذلك ومعه السيف

أبو جهل — ولكنه لم يفعل شيئاً

عتبة — كيف يا أبا الحكم

أبو جهل — لقد عدا الفتيان عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل

أصوات — يا للداهية (ثم بصوت أقوى جميعاً) كلباً ميتاً

عتبة — ثم ماذا

أبو جهل — ثم ألقوه فى بئر مملوء بعذر الناس ، حتى جاء عمرو ورآه على هذه الحال منكساً مقروناً بكلب ميت .

النضر — فماذا فعل

أبو جهل — كفر بإلهه ، وآمن بإله محمد

أبو سفيان — وأخذ يحطم صنمه وهو يقول :

والله لو كنت إلهاً لم تكن
أنت وكلب وسط بئر فى قرن
أف لملقـك إلهاً مستدن
الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العـــلى ذى المنن
الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن
أكون فى ظلمة قبر مرتهن
بأحمد المهدى النبى المؤتمن

أميـــة — لقد أصبحنا فى خطر يا قوم

عتبـــة — والخطر الأكبر خروج أصحاب محمد تباعاً مهاجرين إلى المدينة

أبو جهل — إن هذه الهجرة هى التى تجب محاربتها ، إن الهجرة هى الخطر البالغ لو استطاع أن ينفذها محمد. لقد كثر أتباعه فى يثرب وقويت شوكته كما تعلمون ، فإذا تتابع أصحابه زادوهم قوة إلى قوتهم ، وإذا قدر

لمحمد أن ينضم إليهم أمسك بخناقنا ودهم مكة علينا

أمية — أو قطع علينا سبيل التجارة إلى الشام ، وعندها نعرف معنى الجوع ، ونذوق لباس الهون

أبوجهل — لهذا وكلت بباب محمد من يحرسه من رجالى ، وجعلت عليه رصداً شديداً يحاصرونه فلا يخرج ، ويمنعونه إن حاول أن ينفذ فكرة الهجرة

النضر — عشت يا أبا الحكم ، وسلمت رأياً وتدبيراً

عتبة — ولماذا لم تقم بنفسك على حراسته . . . ألعلك خشيت الفحل ذا الأنياب ؟

أبوجهل — باللات لا تعد هذا الحديث يا عتبه . لقد كان أمر الفحل هائلا مخيفاً ، لقد غدوت إلى محمد يوماً وهو يصلى أريد قتله ، فأخذت حجراً كبيراً واعتزمت أن ألقيه على ظهره وهو ساجد

أبوسفيان — فما منعك يا أبا الحكم

أبو جهل — رأيت هولا هائلا . . رأيت والله بينه وبيني فحلا ما رأيت مثل رأسه ولا مثل أنيابه قط ، ولو قد أقدمت على ما كنت مقدما عليه لأكلني . . لقد كان فاغرا فاه يريد أن يلتهم ، فعدت مذعوراً وسقط الحجر من يدى

عتبة — لقد خفت الفحل ذا الأنياب ، فرضيت من الغنيمة بالإياب

أبوجهل — إن لم تصدقني ياعتبة ، فسينالك ما نالني

عتبة — وماذا نويت أن نفعل الليلة

أبوجهل — هذا ما جئنا للتشاور فيه

« تسمع صيحة مدوية ويقدم إبليس فى زى شيخ عليه طيلسان »

أبوسفيان — من الشيخ ؟

الشيطان — شيخ من أهل نجد ، سمع بالذى اعتدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى ألا يعدمكم منه رأياً ونصحاً

أبو جهل — أجل . . فادخل (يقترب)

أبو سفيان — (لأبي جهل) تكلم يا أبا الحكم

أبو جهل — إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً

أمية — احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ، ومن مضى منهم ، حتى يصيبه ما أصابهم

الشيطان — لا واللات ما هذا لكم برأى ، واللات لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره

أبو سفيان — نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب

ولا حيث وقع. إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت

الشيطان — لا واللات ما هذا لكم برأى . ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على الرجال بما يأتى به . واللات لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد . . . دبروا فيه رأيا غير هذا .

أبو جهل — (يفكر قليلا) والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد

أبو سفيان — وما هو يا أبا الحكم

أبو جهل — أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليداً نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها

ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم

الشيطان — القول ما قال الرجل . . هذا الرأى الذى لا رأى غيره

أبو جهل — امكثوا هنا حتى الصباح ، لا يبرح أحد مكانه ، إن رجالى على باب محمد يحرسونه بسيوفهم . . وقد وكلت إليهم أمر قتله ، فاذا ثاروا به هجمنا عليه . . سيفصل الصباح بيننا وبين محمد . وسيبطل زعمه وتمحى دعوته (يضحك) زعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن (ضحك) وإن لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها (ضحك)

الشيطان — (يصرخ) آه . . صوت هينمة وتلاوة قرآن

أبوجهل — (يصيح) آه

أبوسفيان — ما بك يا أبا الحكم ؟

أبوجهل — عينى عليها غشاوة

أمية — بصرى لا أجده

النضر — (يتحسس بيديه) أين أنتم يا أمية ؟

عتبة — ما هذا الظلام ؟

الشيطان — الفرار . . الفرار . (يخرج)

عتبة — إنه الشيطان

(يدخل أعرابى من رجال أبى جهل صائحا)

الاعرابى — أدرك يا أبا الحكم

أبو جهل — (للاعرابى) ماذا وراءك ؟

الاعرابى — خرج محمد ومضى فى طريقه

أبو جهل — (بلهفة) إلى أين ؟

الاعرابى — لا أدرى ، لقد أخذت أبصارنا فلم نره ، وسمعناه يتمتم بكلام

أبو جهل — وهل حفظت حديثه ؟

الأعرابى — لم أشعر إلا وقد حثا على رءوسنا التراب وهو يقول (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون)

أبو جهل — أرنى رأسك (يدنى الاعرابى رأسه فيتحسسها أبو جهل) تراب حقا

أصوات — تراب . . تراب . .

أبو جهل — اسمع يا فتى .. انصرف إلى رفاقك ، ابحثوا عن قصاص الأثر ، واجعلوا جعلا لمن يأتينا بمحمد

أبو سفيان — هيهات أن تدركوه ، لقد خرج عليكم يتلو قرآنا ، ويحثو على رءوسكم ترابا

(ستار)

الفصل الثانى

المنظر: « غار ثور » جبل بأسفل مكة يبدو إلى يسار المسرح وقد جلس على صخرة بقربه عبد الله بن أبى بكر معتمداً وجهه بين يديه بينما يسمع نشيداً ينساب فى أذنيه يردده عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله عنه وهو يسوق أغنامه يرعاها ويترنم

عند رفع الستار، عبد الله بن أبى بكر معتمداً وجهه بين كفيه يستمع

يا أيها الأغنام عفى على الأقدام
واستنقذى الإسلام من عصبة الكفر

(يسمع ثغاء الغنم)

هيا اقصدى للغار واستشرفى الأنوار
فمحمد المختار وافاه فى السر

الله قد أنجاه بالعنكبوت حماه
وحمامة بحماه حنت إلى الوكر

صديقه ثانيه وبنفسه يفديه
لا تخشيا ما فيه فى العسر واليسر

سيرى على الرمل يا أيها الأغنام

(يسمع ثغاء الغنم)

واستجمعى شملى فالله للإسلام

(يدخل عامر)

عامر — يا لعظمتك ياغار ثور ، أيها الجبل الأشم ما أعظم ما انطويت عليه من سر ، وما أسنى ما اشتملت عليه من نور .

عبد الله — (ينهض) ما وراءك ياعامر .

عامر — غنمى أرعاها يا ابن أبى بكر ، أقدم بها من طريق مكة فأخال كل شىء يتبعنى ويسير فى أثرى ، نور يتغشانى ياعبدالله ، وهمسات أسمعها ، وأسرار تحيط بى . . يخيل إلى أن الجبال تتراقص ، والرمال تتواثب ، والكثبان يعتنق بعضها بعضا ، وهذه الشمس عند إشراقها لم تكن كعهدنا بها كل يوم ، إن لها فى هذا اليوم لنوراً لامعاً ، وبريقاً خاطفاً ، وشعاعا أخاذاً ، كل شىء هائم على وجهه ، لا تدرك له قراراً ، ولا تعرف له مداراً ، حتى هذه الأغنام لها ثغاء عجيب ، وحنين غريب ، فهى إذا سارت على الرمل حنت إليه ، ومالت عليه ، تلصق أنوفها به ، وتمرغ

وجوهها فيه . . الأغاريد ترددها بنات الجبل هائمة نشوى ، والنسمات تحملها الرياح مجنونة سكرى .

عبد الله — إن هذا اليوم ليس له فى الأيام ضريب يا عامر لقد مشت الدنيا بأسرها والحياة جميعا خلف محمد يوم مشى إلى الغار ، ووقف الفلك عن دورانه ، واحتشدت العوالم والأرواح على بابه ، واصطرعت قوى الخير والشر فيه ، أيغلب باطل قريش حق محمد فتشقى الدنيا وترسف فى القيود والأغلال ، أم يرفع الله راية رسوله فترف على الصروح والمدائن ، وتخفق على العصور والأجيال .

عامر — يخيل إلى أننا نسجل تاريخا يا عبد الله . وأن هذا اليوم سيتميز بين الأيام ، ويتنزه عن النظائر والأشباه .

عبد الله — إنه يوم الهجرة ، يوم أن وقف أهل الباطل

فى وجه الحق يعترضون سبيله ، ويحاولون إزهاقه ، فتعالى الحق وتأبى ، وانكمش الباطل واستخذى ، وتسنمت راية الحق أعلى الذرى ، وانتصبت تضىء وتلتمع ، وهاجة الضوء ، براقة السنا .

عامر — لعمرك ما ينال أهل الباطل من أهل الإيمان ، لقد آمنا بمحمد فعشنا فى دنياه ، وقبسنا من هداه ، ومشينا على نور مشعله وضوء سناه ، فلئن أخذوا منا الأرض لتفتحن لنا أبواب السماء ، ولئن حاولوا تمزيق وحدتنا لقد جمعنا ووحدنا الأخاء ، ولئن طاردوا رسول الله ومكروا به ، فلقد حمل فى قلبه العظيم رسالة ربه ، واحتضنها وسار بها ، فمنا من صاحب فضرب أروع مثل للمحبة والوفاء ، ومنا من نام على الفراش فرسم أبرع صورة للتضحية والفداء .

عبد الله — وما الحياة لولا محمد ، وما الحق إن غاب عن الدنيا وجهه ، وما الإيمان إن حيل

بينه وبين دعوته ، والله لن يصلوا إليه وفينا عرق ينبض ، ودم يجرى ، ونفس يتردد ، فلنقف من حوله صفا فلا ينفذون إليه، ولنلق الأهوال دونه ولنسقط صرعى بين يديه ، ولو لم نؤمر لكان لنا دور غير هذا الدور ، فلنلتزم ما أمرنا به ، ولنعمل عليه ، ولنجهد فيه .

عامر — فأنت تنقل أخبار قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبيك ، وأنا أرعى غنمى وأريح عليهما بها .

عبد الله — ولتكن لك عين نافذة ، إن قريشا قد بثت عيونها فى كل مكان ، وأرصدت جعلا لمن يأتيها برسول الله صلى الله عليه وسلم أو يدلهم عليه .

عامر — وهل تعتقد أنهم واصلون إلينا .

عبد الله — لا يبعد ذلك ، لقد قلبوا كل شعب ، ونقبوا فى كل مكان ، حتى دارنا فى مكة

لم يتركوها حتى دخلوا إليها وفتشوا فيها

عامر — ولم يرعوا حرمة أختيك أسماء وعائشة .

عبد الله — لقد جاءت عصبتهم يتقدمها أبو جهل لعنه الله ، فواجه أختى أسماء منتهراً وصاح فى وجهها أين أبوك يا بنت أبى بكر ، قالت لا أدرى ، فرفع الفاجر يده وأهوى بها على خدها فضربها ضربة أطارت قرطها

عامر — لك الله يا أسماء ، لقد طار قرطك من أذنك لتلتقطه حانية عليه أيدى أتباع محمد ، فيتوهج فى أيديهم ببوارق الأمل عند حلول البأساء ، ويخلد فى صفحات مجدهم بماء الذهب أروع سطر لجهاد النساء وحفاظهن على بيوت المؤمنين ، واحتمالهن صنوف الأذى واللأواء .

عبد الله — لقد ضمت أختى إلى إطارة قرطها شق نطاقها ساعة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى من عندها .

عامر — وما ذاك أيضاً يا عبد الله ؟

عبد الله — لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى إلى الغار جهزناهما أحث جهاز ، وصنعنا لهما سفرة من جراب ، فلم تجد أختى أسماء ماتربط به فم الجراب ، فشقت نطاقها فربطت بنصفه على فم الجراب ، وشدت فم القربة بالنصف الآخر .

عامر — فهى إذن « ذات النطاقين » رضى الله عنها وعن صنيعها ، لقد ضمت إلى صفحات المرأة فى الإسلام صفحة ناصعة البياض إن الإسلام فى حاجة إلى حنو المرأة ، فهى التى آوته إلى حجرها يوم احتضنته خديجة وليدا ، وهى التى زودته بحنوها يوم جهزته أسماء طريدا .

عبد الله — لقد أبطأنا يا عامر فلنرجع إلى مكة ، ولنذهب قبل أن يفجأنا جمعهم فيدلهم وجودنا على المكان .

عامر — ورسول الله

عبد الله — بعين الله ورعايته (إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)

(ينظر إلى الجبل وإلى الطريق)

أيها الجبل الأشم الخالد . أيها الغار العظيم الوضىء ، ليخرجن منك نور يضىء شعاب العالم ، وليجذبن سحرك القوافل على مر الأيام والدهور ، فتقبل من قصى الأبعاد تاركة الأهل والأوطان ، لتستجلى سر العظمة فيك ، وتستلهم قوة الإيمان منك . وتعلم أنه فى سبيل العقيدة والإيمان ، يهون ترك الديار والأوطان .

عامر — لقد استكرهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج

عبد الله — ولقد سمعته وهو ينظر إلى مكة مودعاً ويقول ، والله إنك لأحب أرض الله إلىّ ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت منك ،

عامر — كذب من سمى الهجرة فراراً .

عبد الله — إنما هى صراع ومجاهدة واصطبار ، هيا يا عامر ، إلى غنمك فاحدها .

(يخرجان — يسمع بصوت عامر يحدو غنمه ثم يتلاشى صوته) .

يقبل وفد الجن ويسمع نشيده وأصواته وجلبته — وفيها غرابة عن صوت الآدميين — يبدأون النشيد قبل دخولهم وثيابهم غريبة حمراء ملتصقة بجسومهم النصف الأسفل منها سراويل لاصقة بالجسد ، والنصف الأعلى عند الرأس كالباس المسوخ ، وقد خطت عيونهم مشقوقة شقا طوليا ورسمت حواجبهم طويلة مائلة كذلك .

(الجن ينشدون ويدورون بحركات مختلفة)

يا خير مبعوث للإنس والجن
فى ركبك السارى سرنا على اللحن

نتنسم الأخبار ونكيد للكفار
أجسامنا من نار وتذوب كالعهن

نتلو من القرآن ما يطرب الآذان
ولنا من الإيمان حصن على الزمن

« يجلسون فى أدب ووقار ويتلو قارئهم أول سورة الجن »

« قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا »

مارد — أجل يا معشر الجن، لقد استمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن وآمنا به

زوبعة — وكان ذلك ببطن نخلة عند عودته من ثقيف

يعفور — فمشينا فى ركابه حين كذبه الإنس .

صخر — وقبلنا أقدامه حين أغرى الآدميون صغارهم به يقذفونه بالأحجار، حتى دميت قدماه ، وألبوا عليه سفهاء البشر يسبونه ويصيحون به ، حتى التجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة .

مارد — الكافران المكابران .

زوبعة — وقام النبى من جوف الليل يصلى ويتلو القرآن .

آصف — وكنا سبعة فتهاوى الجن إلينا يسقطون كأنهم النسور ، فتكاثرنا حتى كان يركب بعضنا بعضا من شدة الزحام .

زوبعة — وكنا أحرص على استماع القرآن وتصديقه من بنى البشر .

يمفور — الذين أخرجوه من ديارهم ، وألجأوه إلى الهجرة ، فهفت إليه الجمادات ، وضجت لهجرته السموات ، وأيدته الملائكة وعصمه الله .

صخر — وكان لزاماً علينا أن نسير فى موكبه ، ونتحد مع كائنات الوجود الحية والجامدة فى إيوائه والحافظ عليه .

آصف — واختار الغار فنزله ، فاهتزت جنبات الأرض وكاد الجبل أن يميد من فرط خيلائه ، وسبحت الأحجار ، وترنمت الأطيار ، وصحا كل شىء ، وأرهف سمع الدنيا والزمان

يمفور — وطمست قلوب قريش ، وأخذت أبصارهم وضلت حلومهم ، فمضوا يتبعون أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرصدوا لمن يدلهم عليه جائزة .

صخر — هاهم ينفضون الصحراء بحثا ويثيرون غبارها

زوبعة — إنى أراهم فى حيرة يتقدمهم دليلهم .

آصف — إنهم يقتربون .

مارد — يا معشر الجن

الجن — لبيك يا مارد .

مارد — تقدم ياصخر ، وادن يا زوبعة . وأصغ يا آصف ، وأنصت يا يعفور .

الجن — لك السمع يا مارد ، فمر بما تريد

مارد — ماذا أعددتم لكفار قريش .

الجن — القتل ، الفتك ، العذاب الوبيل .

مارد — لا . . لا تقتلوهم فهم أهون من ذلك ، ولكن تربصوا بهم واسخروا منهم .

صخر — دعنى لأبى جهل يا مارد ، فلأقتلعن صخر الجبل ، ولأرمينه به على ناصيته

زوبعة — وأنا لأمية بن خلف ، فلأثيرن عليه زوبعة تقذف به إلى أطراف الأرض ، فلا يعرف له ثباتا ولا قرارا .

آصف — أما أنا فلأعصفن بعتبة بن ربيعة ، ولأنكان به تنكيلا

يعفور — ودعوني لدليلهم فلأعمين بصره ، ولأعفرنه بالتراب .

مارد — لا تجهدوا أنفسكم ، يكفي أن تذوبوا وتتلاشوا ، ثم تأتوهم من خلفهم ، فتشبعوهم ضربا ولكما ، إن مهمتكم ليست حماية محمد فقد تكفل الله بحمايته ، ولكن لتحتشدوا تحت أقدامه تشريفاً وتعظيما ، هيا . . تلاشوا . ذوبوا . . (يختفون)

(يقبل الكفار : أبو جهل وأمية وعتبة يتقدمهم سراقة بن مالك)

سراقة — (وهو يشير إلى الأرض وقد أحنى رأسه) هنا انقطع أثر الأقدام .

أبو جهل — وأين تظنه اتجه ياسراقة

سراقة — لا أحقق يا أبا الحكم ، لا أدرى أسار يمينا أم شمالا أم صعد الجبل .

« ثم ينظر إلى الأرض مرة أخرى »

هذا القدم قدم ابن أبي قحافة .

أبو جهل — (مشيراً إلى الأرض) وهذا .

سراقة — لا أعرفه ، إلا أنه يشبه القدم الذى فى مقام ابراهيم .

أبو جهل — انظروا فى الغار

عتبة — لابد أنه قد دخله (يتقدم وينظر ثم يعود)

أميـــة — ماوراءك ياعتبة .

عتبـــة — أنظر ياأمية ، حمامتان وحشيتان قدعششتا بفم الغار ، أيعقل أن يكون به أحد .

أميـــة — كلا . . إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ..

أبو جهل — أخفق مسعانا (يفكر ثم ينادى) ياسراقة !

سراقة — لبيك ياأبا الحـكم

أبو جهل — لك مائة من الإبل إن اقتفيت لنا آثار محمد

سراقة — (مذهولا) مائة من الإبل

أبو جهل — آه لوعثرت عليه ، آه ، آه (ويستمر فى آهاته بوجيعة بينما يثير الجن عاصفة من الأصـوات والضرب وهم لايظهرون)

أمية — مالك يا أبا الحكم

أبو جهل — (يجرى فزعا) ضربات تكال لى ، آه .. آه ، أدركنى يا أمية

أمية — آى ، آى . . الفرار الفرار . . ويل لنا من محمد

سرافة — زوبعة هائلة ، ملأت عينى ترابا

عتبة — يا لجسدى ، ماذا دهانى ، نار فى جسدى كأنما التصق به شيطان . الفرار . الفرار

(يخرجون بينما يظهر الجن ينشدون وهم يدورون)

نتنسم الأخبار ونكيد للكفار
أجسامنا من نار وتذوب كالعهن

يذوبون ويهبط الستار

الفصل الثالث

المنظر : « خيمة أم معبد » وقد بدت إلى يسار المسرح وبجانبها صخرة كبيرة . وأمامها دوحة باسقة . وقد جلس أمامها على الرمل أبو معبد وأخو زوجته حبيش بن الأصفر وأمامهما موقد كبير

عند رفع الستار — أبو معبد يتحدث إلى حبيش

أبو معبد — أوقد النار ياحبيش ، وشبها ضراما ، حتى يصل لهبها إلى عنان السماء ، ويخترق ضوؤها جوف الصحراء ، فيهتدى بسناها السارى ويقدم على ضوئها الأضياف

حبيش — أجل يا أبا معبد ، فلقد كان يومنا يوماً عظيما ، منذ أن مر بنا الرجل المبارك

أبو معبد — آه لو أدركته ، لقد غمرنا بالخير ، وعمنا بالنور ، وأحاطنا بالبركة ، فهذه الشاة العجفاء درت بين يديه ، وهذه الشجرة الجرداء اخضرت من موطىء قدميه

حبيش — وأختى منذ رأته مارقاً لها دمع ، ولا سكن لها قلب ، ولا خف لها وجيب

(يسمعان صوت غناء من بعيد)

يامن يغيث الجار ياموقدين النار
بعدت بى الأقطار واجارنى المختار

قد جئت أطلبه فغدوت أحميه
والآن أحجبه قلبي يفديه

أبو معبد — اسمع ياحبيش ، هذا صوت مستغيث قد دهمه الظلام (يسمع الصوت ويدنو قليلا)

يامن يغيث الجار ياموقدين النار
بعدت بى الأقطار وأجارنى المختار

أبو معبد — انظر ياحبيش ، غريب يضرب فى الصحراء هائما على وجهه . إنه يدنو منا ، ماله يبطىء السير ، لعله جريح أو مصاب . امض إليه وأعنه على الحضور إلى خيمتنا

(يخرج حبيش — ينظر أبو معبد)

أبو معبد — يا عجباً . . كأن بجانبه جواداً كابيا ، لعله سقط من فوق ظهره ، إنهما يقدمان

(يدخلان)

حبيش — تقدم وادن من النار فاستدفىء (يدنيه من الصخرة) اجلس هنا (يجلس)

أبومعبد — لا بأس عليك أيها الضيف الكريم ، لحظة حتى أهيىء الطعام .

الضيف — لست بحاجة إلى الطعام ، ولكن قليلا من الماء فقد قتلنى الظمأ .

أبومعبد — سآتيك بما هو خير من الماء ، بشربة ترويك فلا تظمأ بعدها أبدا ، بقدح من اللبن الذى حلبه بيديه الرجل المبارك

الضيف — (مأخوذا) الرجل المبارك ، يا عجباً . . أيكون هو ؟ . .

أبومعبد — (يقدم إليه القدح) اشرب

الضيف — (يشرب) ذوب السكر ، وأريج العنبر . ماذقت فى حياتى أطيب ولا أحلى ، ذهب

روعى وعادت قواى ، ليت قريشاً رأت
ما رأيت (يصمد برهة ثم ينشد)
أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني
أرى أمره يوما ستبدو معالمه

أبو معبد — يبدو لى أن لك حديثاً أيها الضيف

الضيف — خرجت من مكة أقتفى أثر محمد فى هجرته ، وقد جعلت قريش جعلا لمن يرده عليها ، فأسرجت جوادى وحملت رمحى وانطلقت إلى بطن الوادى ، حتى إذا تراءى لى ركب محمد على مد البصر ، شعرت كأن الأرض تميد بى ، والجبال تنهد من حولى (تسمع أصوات كالرعد) والرعود تقصف فى آذانى ، وإذا بفرسى يجمد كأنما قد سمر

تحتى . وساخت قوائمه فى الأرض ، وهبت زوبعة هائلة ، وتلا ذلك دخان كالاعصار

(يظهر مارد فجأة فى ثياب الجن)

أنا الذى أثرت عليك الدخان يا سراقة ،

[يدنو من سراقة فيرتجف فرقا ويمشى إلى آخر المسرح ومارد يتبعه]

مارد — أنا مارد من الجن

[ينزعج أبو معبد وحبيش وينكمشان]

سراقة — أنا خائف أنا ذاهل

مارد — أنا نار

سراقة — أنا مستغيث مستجير

مارد — أنا إعصار

سراقة — أنا فى جاه رسول الله

مارد — سأتركك إلى حين، تظن محمداً يمشى ولا تمشى العوالم فى خدمته ، لقد جند الله له كل شىء وحرسه ورعاه ، إن حب محمد يجرى فى الدماء والعروق [يقترب منه فينزعج] إنه يتردد كالأنفـــاس ، ويضىء كالسنا ، ويحرق كالنار .

يريدون الدنيا ضلالا ياسوائم ، وتودون

أن تعيشو فيها كالبهائم والأنعام (يصرخ فيرتجف سراقة) نحن من جند محمـــد فمن يؤذيه ؟ إن قوانا لا تغلب ، وأجسامنا لا ترى ، وحركاتنا لا تحس ، فمن حاول النيل منه خسفنا به الأرض ، وأحلنا نهاره حالكا كالسواد (إشارات بين حبيش وأبى معبد)

سراقة — ياعجبا . أما تزال أطياف محمد تطاردنى . لقد أمننى محمد .

مارد — أ أمنك رسول الله ؟

سراقة — أجل . وأعطانى بذلك كتابا

(يظهر قطعة مكتوبة من الخزف)

مارد — إذن فلا خوف عليك . أتم حديثك .

سراقة — فناديت القوم فقلت أنا سراقة بن جعشم ، أنظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه ، فقال محمد لأبى بكر ، قل له وما تبتغى منا ، فلما

خاطبنى بها أبو بكر قلت تكتب لى كتابا
يكون آية بينى وبينك ، وها هو الكتاب
فى كنانتى

مارد — لولا كتاب رسول الله وأمانه ، لقذفت
بك إلى أبعاد مالها من قرار

سراقة — أنا تائب يا مارد .

مارد — وعائد إلى قريش فمخبرها خبر محمد ؟

سراقة — لا ورب البيت ، لقد عاهدت محمداً أن
أرد عنه الطلب .

مارد — وتعاهدنى على ذلك

سراقة — أعاهدك

مارد — نجوت ورب محمد

أبو معيد — (لحبيش) نجا ضيفنا (يتقدم من مارد)
— شكرا لك يا مارد الجن ، لقد أقلقتنا على
— ضيفنا ، وتوجسنا شراً

مارد — لاخوف عليكم ، ولا شر على من أحسن
إلى محمد وآواه

حبيش — (لأبى معبد) قل له ألا نحضر له طعاما

أبو معبد — (لحبيش) وما علىّ بطعام الجن (يخاطب مارد) أتأكل مثلنا ؟ وهل أحضر لك شيئا من الطعام .

مارد — شكراً لكم . . لا أجد عناء فى الحصول على طعامى ، ولكن حدثنى خبر من مر بكم هذا اليوم

أبو معبد — عدت إلى أم معبد فوجدت عندنا خيراً كثيراً ، الخيمة النائمة إلى بطن الرمل تشكو الوحشة والنأى البعيد قد امتلأت حياة وحركة ، وأنساً وبهجة ، والشاة الجاثمة على صدرها طول النهار من التعب والهزال ، قد دبت فيها القوة ، وسرت إليها الحيوية ، وامتد ثغاؤها إلى جوف الصحراء ، والشجرة الجرداء قد اخضرت وأثمرت ، وتدلت فروعها إلى الأرض كأنما رنت إلى حبيب تحنو عليه ،

والإناء الفارغ مملوء باللبن كأنما حلب لساعته ، وأم معبد ثملة تشوى تتمايل من الطرب ، وتبكى من الحنين . قلت ماذا جرى يا أم معبد ، قالت مرّ بنا رجل مبارك ، ما مسح ضرع الشاة بيده حتى تفاجت ودرت واجترت ، فأتيت له بالإناء فحلب فيه ثجاً إلى أن غلبه الثمال ، فسقانى فشربت حتى رويت ، وسقى من معه حتى رووا ، وشرب هو آخرهم ، فأخذنى العجب

مارد — ألم تسألها عن وصفه

أبو معبد — أجل .. قالت هو رجل ظاهر الوضاءة ، حسن الخلق ، مليح الوجه ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى صوته صحل ، ليس بالطويل المغمط ، ولا القصير المتردد ، ولا بالجعد القطط ولا السبط ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع وفى لحيته

كثاثة ، إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب ، وإذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء . حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر . غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره . محفود محشود ، لا عابس ولا مفند

مارد — صلى الله عليه وسلم وبماذا أجبت

أبو معبد — قلت هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر ، ولو كنت وافقته يا أم معبد لالتمست أن أصحبه (بعد برهة) ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا

مارد — بشراك يا أبا معبد ، إنه رسول الله ، لأبشرن بمسيره المؤمنين ، ولأمشين فى أسفل مكة متغنياً بأبيات

أبو معبد — وهل تحسن قول الشعر ؟

مارد — ألم تعلم أن لكل شاعر شيطانا يلهمه

أبو معبد — وماذا نويت أن تقول

مارد — أليس جميلا قولى

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حـــلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا
فأفلح من أمسى رفيق محمـــد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصـــد

أبو معبد — رائع وحياة الرجل المبارك

مارد — إذن فسلام عليكم ، لأتغنين بها يتبعنى الناس يسمعون صوتى ولا يرونى

(يخرج ويسمع غناؤه من خلف الستار)

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حـــلا خيمتى أم معبد

أبو معبد — عجباً . . إن يومنا لملىء بالمعجزات

ستار

الفصل الرابع

المنظر : « الحرة بظاهر المدينة » إلى يمين المسرح تبدو ربوة عالية .
عند رفع الستار — زياد يتحدث إلى سعيد، وهما من الأنصار المؤمنين .

زياد — ألا يحضر رسول الله يا سعيد ؟

سعيد — ما أشوقى إلى رؤيته يا زياد ، واجتلاء طلعته ، لقد آمنا به ولم نره ، فكل يوم نذكره فى الصلاة ، وكل يوم نقرأ عنه فى القرآن ، وكل وقت نسمع عن آية من آياته ، أو معجزة من معجزاته ، ذاك الذى غمر قلوبنا بالنور ، وملأ أفئدتنا بالهدى ، وأثلج صدورنا بالإيمان .

زياد — لقد كون من شتاتنا وحدة ، وبدل من خلافنا ألفة ، وقضى على الفوارق والعصبيات ، ووصلنا بالله فاطر الأرض والسموات ، فتلونا من رحمته قرآنا ، وأصبحنا بنعمته إخواناً .

سعيد — إننى كلما جلست إلى مصعب بن عمير ، زدت شوقاً إلى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأقبس من نوره كما قبس مصعب ، وأتشكل على طريقته كما تشكل ، وأميل على هواه كما مال .

زياد — هنيئاً لمصعب وإنه لأصدق صورة للداعية المؤمن ، ليس له شغل فى الدنيا إلا دعوته ، فإذا جلس إليه الرجل يسأله عن الإسلام أجابه فى بساطة وهدوء (أن تغتسل وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين)

سعيد — يا للبساطة والاعجاز ، إننا نعيش بدعوتنا فى دنيا السمو والجلال ، لقد تركنا للناس دنياهم ، وذهلنا عن كل شىء إلا محمداً ودعوة محمد .

زياد — إن محمداً يصنع الرجال ويعطف القلوب ، ويأتي بالمعجزات .

سعيد — أنظر إلى مصعب ، إنه مثل للنفوس التى اصطنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرّ عليها يده ، والقلوب التى عمرها بنوره والوجوه التى أضفى عليها من جلاله ، والأرواح التى عاشت على حبه ، والمشاعر التى عبت من منهله ، والعواطف التى ارتوت من معينه ، والصور التى انصبت فى قالبه ، والارادات التى انبعثت من قراره ، والأهواء التى مالت على طريقته ، والنواجذ التى عضت على سنته .

زياد — ما أشوقنى إلى اجتلاء طلعته ، ألا نسمة من نسماته تهب علينا ، ألا دليل يبشرنا بقدومه .

سعيد — إننا منذ سمعنا بمخرجه ، وتوكفنا قدومه ، نخرج كل يوم إلى ظاهر المدينة ننتظر ، ولا نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال

زياد — وذلك اليوم الثالث ، وقد عاد المسلمون إلى دورهم حين اشتد عليهم الهجير

سعيد — والله لو أحرقتنى النار ما أنا بعائد حتى أرى وجهه .

زياد — فلنرقب الطريق « يصعدان الربوة وينظران »

سعيد — ماذا ترى ؟

زياد — إنه رجل من اليهود يسرع إلينا مهرولا .. ها هو يقدم .

اليهودى — « بأعلى صوته » يا بنى قيلة ، يابنى قيلة ، هذا جدكم الذى تنتظرون .

(تتنال جموع المسلمين مقبلين من البيوت منادين : (الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر ولله الحمد)

سعيد — « بلهفة » أين ؟

اليهودى — على مقربة منكم ، ومعه أصحابه يزولهم السراب . « يدخل أحد الأعراب صائحا »

الاعرابى — أبشروا أيها المسلمون ، جاء رسول الله

« يتعالى التكبير »

سعيد — وهل رأيته بنفسك .

الاعرابى — أجل . والله رأيت ، والله رأيت ، رأيت النور ، رأيت الهدى ، رأيت الإشراق ،

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر ، يحمل لواءه بريدة ، ويحدو به ذو البجادين . ألا تسمعون ، ألا تنظرون انظروا النور ، اسمعوا الحداء

« يسمع حداء الإبل مع صوت الأجراس »

تعرضى مدارجا وسومى

تعرض الجوزاء للنجوم

هذا أبو القاسم فاستقيمى

« تتعالى الأصوات من كل مكان »

الله أكبر ولله الحمد ، جاء نبي الله ، جاء نبي الله

سعيد — انظر يا زياد ، لقد أضاء كل شيء فى المدينة وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير ، وعمت الفرحة ، واستبشر النساء والصبيان والولائد

هيا يا زياد ، هيا يا رجال ، اخرجوا لاستقبال رسول الله ، استقبلوا النور ، واهتفوا بالنشيد

« يخرجون فى أسلحتهم ودفوفهم وهم ينشدون »

طلع البدر علينـــا من ثنيـات الوداع
وجب الشكر علينـا ما دعا لله داع

أيهـا المبعوث فينـا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

طلع البدر علينـــا من ثنيـات الوداع
وجب الشكر علينـا ما دعا لله داع

[ستار الختام]

ظهرت للمؤلف كتب

ثورة الدم	إلى الله
المعز لدين الله الفاطمى	عامان فى شعب
صلاح الدين الأيوبى	غزوة بدر

قريباً

من تاريخ الدعوة

الكتاب المرتقب ، كتاب الدعوة فى تاريخها
والسجل الحافل بمراحلها وأدوارها